الذّخيرة النّصية آلية لإنتاج المعنى بين تأمُّل وُ مشَاركة القارئ في المجموعة القصصية »العودة إلى الينابيع» لمحمد مرتاض.

The textual repertoire is a methodology for producing meaning between meditation and participation of the reader In the story collection «Return to the Springs» by Mohammed Mortad

* **عياد زدام محمد**

مخبر الدّراسات اللّغوية والأدبية في الجزائر من العهد التركي إلى نهاية القرن العشرين

جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، (الجزائر)، mohammed.ayad.etu@univ-mosta.dz

د. عبد الرحمن بن زورة

جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، (الجزائر)، abderrahmane.benzoura@univ-mosta.dz

تاريخ الاستلام: 2021/07/01 تاريخ القبول: 2021/11/02 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص: انطلق هذا البحث من محاولة تطبيق آلية الذّخيرة النّصية كإجراء من إجراءات إيزر على قصص منتخبة من المجموعة القصصية «العودة إلى الينابيع» لمحمد مرتاض، من أجل استنطاق أبعاد بعض القصص ورسم مشاهد من خباياها، بغية تشكيل جزء من الموضوع الجمالي كما جاء لدي إيزر.

لذلك كانت هذه الآلية أهم خطوة رافقت المتلقي أثناء فعل القراءة، كونها المنطقة المألوفة التي يلتقي فيها النص والقارئ، وعبرها تحقق فعل التواصل عن طريق تتبّع البنى النّصية المحفّزة على عمليات الفهم المركبة، ومن ثمّ كان الكشف عن منطق التفاعل بين الذخيرة النصية والمتلقي تحقيقا للاستجابة الجمالية للنص.

كلمات مفتاحية: التّأثير الجمالي؛ الذّخيرة؛ القصة القصيرة؛ المعنى؛ التفاعل.

Abstract: This research is an application of textual repertoire methodology as one of Iser's procedures to selected stories from the collection of stories "Return to the Springs" by Muhammed Mortad, in order to explore the deep sense of some stories and try to guess its hidden sense, in order to form a part of the aesthetic of the subject as stated by Iser.

Therefore, this application was the most important step that accompanied the recipient during the act of reading, being the common area in which the text meets and the reader, and through it the act of communication was achieved by building the textual structures stimulating the complex comprehension processes, and then revealing the logic of the interaction between the textual repertoire and The recipient considers the aesthetic response to the subject.

Keywords: Aesthetic effect; Repertoire ; The short story; The meaning; Interaction.

***المؤلف المرسل:** محمد عياد زدام، **الإيميل:** mohammed.ayad.etu@univ-mosta.dz

1. مقدمة:

عرف النّقد الأدبي عبر مسيرته مناهج نقدية تباينت اتّجاهاتها من حيث التّركيز على أحد أقطاب الإبداع الأدبي (المؤلف، النص، المتلقي)، ولعلّ أبرز هذه النّظريات في السّاحة النّقدية المعاصرة هي نظرية التّلقي الألمانية المتأثّرة بالفلسفة الظّاهراتية، التي تبحث في العلاقة الدينامية بين الفكر الإنساني والأشياء الّتي تبرز من خلال عدم تجسّد الأنا المفكرة إلّا من خلال دخولها الفعلي في علاقتها وارتباطها بالأشياء، وعلى هذا النّحو لا تتمثّل حقيقة العمل الأدبي إلّا بتداخل القارئ مع النص، وهو المحور الرئيسي الذي تأسّست من أجله نظرية التّلقي **Reception Theory** عند مدرسة **كونستانس Konstanz** الألمانية بريادة **هانس روبارت ياوس Hans Robert jauss** و **فولفغانغ إيزر Wolfgang Iser** .

لقد طرح **فلفغانغ إيزر Wolfgang Iser** مجموعة من الإجراءات التّطبيقية و بذلك خطا «خطوات أكثر إيغالا في إشراك الذّات في تقرير المعنى بوساطة فعل الإدراك »[1]، وتتبّع سيرورة القراءة المتواصلة لإنتاج معناه من خلال الذّخيرة النّصية التي تحفّزه على استثمار مرجعياته، من أجل انتقاء المعنى و تحقيق جمالية النّص.

وعبر هذه الممارسة النّقدية التّطبيقية نسعى إلى تتبّع اشتغال الذّخيرة النّصية **The reprtoire** كإجراء من إجراءات **إيزر** على قصص منتخبة من المجموعة القصصية «العودة إلى الينابيع»* لصاحبها «محمد مرتاض»* من أجل استنطاق أبعاد بعض القصص بغية تشكيل جزء من الموضوع الجمالي كما جاء لدى إيزر، والوقوف على أهم خطوة ترافق المتلقي أثناء فعل القراءة ممثّلةً في الذّخيرة النّصية،كونها «المنطقة المألوفة التي يلتقي فيها النّص و القارئ من أجل الشروع في التواصل»[2]، وذلك عبر تتبّع البُنى النّصية المحفّزة على عمليّات الفهم المركّبة، واستكشاف منطق التّفاعل بين الذّخيرة النّصية والمتلقّي.

ومن هذا المنطلق نتساءل عن كيفية اشتغال الذّخير ة النّصية؟ وهل الذّخيرة النّصية تمثل جميع الأنساق والعناصر الدّلالية في النّص؟ وهل يراها المتّلقي انعكاسا يطابق ما هو واقعي فيكتفي بتأملها ويتماهى معها؟ أم يراها مقصاةً فيتشابك معها؟

2. مقولات جمالية التّجاوب عند إيزر:

ساهم **فولفغانغ إيزر** بشكل كبير في تطوير نظرية التّلقي التي تتمركز حول استجابة القارئ، إذ اعتنى بقضية بناء المعنى النّاتج عن« تفاعل متواصل بين التوقعات المعدّلة، والذّكريات المحوّلة»[3]. وهو مجال القارئ ذاته الّذي تُوكل له مهمّة الأنشطة التّركيبية والتّأويلية من خلال جملة من الآليات التي سطّرها إيزر وجعلها إواليات مهمّة في عملية إنتاج المعنى.

1.2.السّجل النّصي/ الذّخيرة النصية* The repetoire:

يراد به المخزون الثّقافي والمعرفي العام الذي يضمّ في طياته المعارف والأعراف والقيم الاجتماعية، «فالسّجل هو المقوّم للنّص والمشير تحديدا إلى ما هو خارج عنه» [4]. مما يجعل النّص يحمل مرجعيات في جلّها متداخلة مع النّص، غير أن الاختلاف يكمن في اشتغاله على آليتين هما:

- آلية الانتقاء: النّص لا ينقل الواقع نقلا حرفيا بل يكون النّقل مؤسّسًا على اختيار حدثٍ من الواقع «يُشكّل الواجهة الخلفية التي جاءت منها والتي تسمح لنا بفهم دلالاتها الجديدة»[5].
- آلية التّشويه: النص ينقل الواقع بمتغيرات تجسّد بنيته وذلك بعدم الإبقاء على الأحداث كما هي، بل بصيغة دلالات أخرى يريدها، مع الحفاظ على الصّلة الاجتماعية بين النّص والقارئ.

2.2. الاستراتيجيات النصية:The Strategies of the Texte

هي خيوط الربّط وحلقات الوصل التي تشكل توجيهات عمليّاتيّة، تضع أمام القارئ سُبلا من الإجراءات، يستند عليها أثناء مزاولته فعل القراءة، وتسعى حسب إيزر إلى «ربط عناصر السّجل، أي الإمكانات الضرورية أو اللّازمة لتحديد مسار الخطّية النّصية»[6].

3. فاعلية القراءة وإواليات* إنتاج المعنى:

يعدّ مفهوم إنتاج المعنى من المفاهيم الإجرائية المهمّة في أطروحة **إيزر**، حيث حظي المتلقّي بدور هام في صناعة المعنى، و إذا ما حاولنا تحديد أبعاد عملية إنتاج المعنى التي ركز عليها إيزر، نجد أنّه يقسّم العمل الأدبي إلى قسمين أحدهما إبداعي يتمثل في النّص الفعلي الذي أنتجه المؤلف، وآخر جمالي تمثل في الإدراك الذي ينتجه القارئ، ومن ثم فإن «العمل نفسه لا

يمكن أن يتطابق مع النّص أو مع عملية التّحويل إلى شيء تدركه الحواس، بل لابد أن يقع في مكان ما بينهما»[7]. إذًا فالعمل الأدبي ليس واقعية النص ولا ذاتية القارئ، وأنّ هذا الدّمج والتّفاعل بين واقعية النّص وذاتية القارئ يقودنا إلى قول إيزر «أنّ النّصوص الأدبية تعطي انطلاقة إنجازات المعنى عوض أن تصوغ- بالفعل- المعاني نفسها. وتكمن الصّفة الجمالية لتلك النّصوص في هذه البنية المنجزة التي لا يمكن أن تكون بوضوح متطابقة مع النتيجة النّهائية»[8]. وإزاء هذا الرّأي يمكن لنا القول: إنّ عملية إنتاج المعنى هي عملية محكومة بإواليات بعضها يتعلق بالنّص الفعلي ذاته مثل الذّخيرة النّصية والاستراتيجيات النّصية، وبعضها الآخر يتعلق بالقارئ مثل وجهة النّظر الجوالة ومواقع اللّاتحديد وعمليات الفهم المركبة.

سنتناول في هذا البحث جانبا من جوانب إواليات إنتاج المعنى وهي الذّخيرة النّصية بالتّفصيل النّظري كما وردت عند إيزر مع تطبيق عملي على بعض القصص، على أنّ الغرض من هذا التنّاول لا يكون في إنتاج المعنى على وجه الخصوص، بل في تتبّع تمظهرات هذه الإوالية في البنية النّصية للقصّة القصيرة العربية الجزائرية وتحديد سماتها؛ وهذا انطلاقا من أن القارئ لا يستطيع أن يبتعد عن هذا التّفاعل، بل إنّ النّص يشدّ القارئ إليه ويجعله يخلق الظّروف الضّرورية لفعاليته، وربّما هذا ما يجعل خلفيات النّص والقارئ تشترك في أبعاد الفهم وتحقيق المعنى في المنطقة التي يسميها «روبرت هولب» بالمنطقة المألوفة «التي يلتقي فيها النّص و القارئ من أجل الشّروع في التواصل، على أنّه إذا كان الرّصيد مألوفا على الإجمال فإنّ النّص قد لا يحقّق الوظيفة المعزوّة إليه في توصيل شيء جديد إلى القارئ» [9].

لعلّ الوقفة التّحليلية التي سنمارسها على مجموعة من القصص المنتقاة من مجموعة «العودة إلى الينابيع» تحيلنا إلى ما سنحاول استكشافه؛ وهو أنّ الذّخيرة النّصية بوصفها الإطار المرجعي للنّص قد تحيل إلى ما هو سائد أو مُقصى، وهذا يعني أنّ هذه الذّخيرة إمّا أن تَتَكوّن من المعايير السّائدة فتُوكَل إليها مهمّة إعانة القارئ على التواصل بأنموذجها في الحياة الواقعية، وإما أن تَتَكوّن من المعايير المقصاة، فتُوكَل إليها إعانة القارئ لكي يرى ما لا يستطيع رؤيته.

بناءً على ذلك؛ فإن الموقف الذي يمكن أن يتّخذه القارئ حيال الذّخيرة النّصية يتجسّد في أحد الموقفين :[10]

- مشارك؛ يقوم بفصل المعايير التي تشكّل الخلفية المرجعية عن إطارها وإعادة بنائها، وبذلك يكون قد نزع القيمة التّداولية عنها.
- متأمل؛ ينظر إلى تلك الخلفية على أساس أنّها ماض خالص ولم تكن في يوم من الأيام حقيقة بالنسبة إليه.

والقصّة الجزائرية شأنها شأن النّصوص السّردية تعتمد في ذخيرتها على أنساق وعناصر دلالية تم انتخابها من الواقع التّجريبي الاجتماعي والثّقافي والسّياسي التي تعدّ إطارًا مرجعيا، ونقطة الالتقاء والألفة مع القارئ بهدف إنتاج المعنى.

1.3 تجلّيات الذّخيرة النّصية وكشف الأنساق الدلالية من أجل التّأمل:

انطلاقا من كون الأدب ذي وظيفة إبلاغية مفادها التّعرف على ردّ فعل الأثر الأدبي على الواقع الخارجي من خلال التّفاعل الدّينامي بين النّص والمتلقي، فإن هذا الأخير يستطيع الكشف عن بعض الأنساق الدّلالية السّائدة التي وظّفها الكاتب من باب الاستحسان أو السّيادة على نحو ما نجد في قصّة «التّلاشي في المجهول»، حيث انتقى الكاتب ذخيرته النّصية من أنساق اجتماعية و ثقافية سائدة في الواقع، و هي الرّغبة في الهجرة و تغيير نمط العيش؛ حيث قام الكاتب بانتقائها كحدث يشكل الواجهة الخلفية والّتي تسمح لنا بفهم دلالاتها الجديدة، وهو ما جسّده (حسن) الذي همّ بالهجرة نحو فرنسا « عَلِمَ

شباب القرية بهجرة أحد طيورهم نحو الشمال..ذهبوا في ذلك مذاهب متباينة: بين الألم لفقده، وبين الغيرة من عُشّه الجديد...»[11].

يستمرّ السّرد بذخيرة نصية موظّفة لخدمة ووصف جو تهيئة الهجرة وتحديد المخاوف التي قد تنجرّ عنها في نسق دلالي سائد، «إنك تعلم أن أباك مات هناك...تحت الأنقاض في مناجم الحديد»، «أعلم ذلك ولكن أخشى ما أخشاه أن ...أعجب ببلاد (برج إيفل) ولا أرجع! إنّ وطني علي غالٍ، و خليقٌ بي ألّا أذيب جهودي في بلاد الأجانب»[12].

لكن بالنّظر إلى هذا النّسق، نلاحظ أنّه سيتحوّل إلى نسقٍ منسلخٍ عن الواقع، ويتّخذ شكلا جديدا يتماشى مع أفق النّص وما ينتظره القارئ من شاب عازم على الهجرة لأوروبا الذي ما إن تعرّف على نادلةٍ في مشربٍ حتى تناسى مخاوفه من الهجرة وعودته للقرية، «دلفت منه وهي تسقيه، دعاها لمشاركته الطاولة فلبّت ..غدا لا يعرف غير مشربها، ولا يرتاد مكانا آخر للتّسلية غير مخمرتها»[13]، «تباعدت المسافات بينه وبين بلده...صار أهله يذكرونه فيزورونه..يقابلهم مرغما..»[14].

لقد عمل أفق النّص على إعادة تشكيل النّسق الدّلالي الاجتماعي، فقد أضفى عليه سمة التّحضّر والحداثة والمدنية الزائفة، فذخيرة النّص هنا منسلخة من واقعها يدركها القارئ كتيمة **The Theme** و يتأملها ويمزجها مع أفق(**Horison**) توقّعاته التي توحي بأنّ مَنْ انبهر بالــمَدَنيّة الزائفة مآله المصير المجهول، «فارقها في هذه اللحظة... تخنقه الأدخنة، ويبتلعه المصير المجهول»[15].في حين تظهر الذّخيرة النّصية بواجهتها الأمامية في ذهن المتلقّي ممثّلة في ذلك الشّاب المحافظ الذي حلم يومًا بالعودة إلى قريته وليُطمْئِن قلبَ والدته.

في قصة أخرى «حصاد الشوك» يلجأ الكاتب إلى شحن ذخيرته النّصية بنسق دلالي سائد يتّسم بالخلل، وذلك بغرض كشفه وتعريته ونقده، فتتكوّن لدى المتلقّي رؤية في أفق النّص بـ (السعدية) المرأة الفاتنة بجمالها التي تثير انتباه الرجال في الحي بعمدٍ أو بلا عمدِ « وراح كل معجب يناقض الآخر في وصفه لها ويجهد نفسه في أن تكون أوصافه أروع من صفة صاحبه» [16].

فهذه الذّخيرة النّصية المنتقاة؛ تثير مرجعية المتلقي وتتشابك معها في تصوُّر نمط حياة هذه المرأة السّائر سلوكها في نسق مختل، فيتكون لديه أنموذج « تجربة من التّجارب التي راهنت على نقل الحقيقة الاجتماعية، وعلى فضح المضمرات التي ظلّت ضاغطة وموجّهة للوعي، ومن ذلك مسألة المرأة وما ارتبط بالتّـفسّخ الاجتماعي»[17].

بإدراك هذه الذّخيرة تنحصر القراءات أمام مرجعيات المتلقّين بحيث يكتفي المتلقّي بتأمّل سلوكات هذا النّوع من النّساء، التي وإن استطاعت أن تغري (الطيب) بالزواج بها فإنها لم تستطع الحفاظ على هذا العشّ المقدّس «هكذا إذًا، يحسبك الظمآن شَهْداً حتى إذا جاءك وجدك بصلاً.. ماذا أفعل بكِ الآن يا خَسيسة؟ لماذا غرَّرتِ بي؟ لماذا لم تبعديني عن جنانك المخضل»[18]، لينتهي بها المقام إلى الطلاق ومن ثمّ الارتماء في نار الرّذيلة «صار لها المئات وليس العشرات.. سكنت وحدها شقّة صغيرة ..كان ولدُها ينام كل يوم على وجه غريب ويصبح على آخر يحمل محفظته..يظل شاردًا عن دروسه»[19]. وينتهي بها الحال واحدة من بين مرضى مرض العصر فاستعصى علاجها على الأطباء. «عادت إلى نفسها، راجعت شريط حياتها، ثم اقتنعت أنّ الحكم الذي أُصدر عليها عادل، منصف، ولم يبق إزاءها إلّا أن تجني ما أفلحت في الأيّام الخاليّة»[20].

تتجلّى مرّة أخرى سيادة الأنساق الدّلالية السّلبية؛ إذ أكّد الكاتب وجودها المرتبط بواقع فلسطين المحتلة، والعجز العربي أمام غطرسة الكيان الصهيوني في قصة «خريطة أخرى للعالم» من خلال حوار غرامي يهودي بين (موشي)و(إيفيت)، حيث اقتنعت هذه الأخيرة بدم الفلسطينيين واللّبنانيين مهرًا لها «مهري أخذته مسبقا...كان آلاف الفلسطينيّين واللبنانيّين...لا أريد

ذهبا ولا فضّة.. هذا هو مهري..الدّم العربي أتشرّبه وحده...»[21]. لقد انتقى الكاتب ذخيرةً نصّيةً من أنساق اجتماعية وتاريخية وسياسية سائدة متمخّضة عن احتلالٍ ترعاه أمريكا «لقد كان المخطط أُمُّنا أمريكا التي جعلت الأمور تسير كما تبغي هي»[22]. واستمر الكاتب في سرد أنساق دلالية على لسان (موشي)حيث سيكتفي القارئ بتلقيها وتأمّلها كتِيمة يدمجها مع آفاق أخرى معادلة في أفق النّص؛ لأنّه يعرف ما ستؤول إليه الأنساق الدّلالية اللّاحقة، فالهدف المنشود للاحتلال اليهودي قد تحقّق «يجب الإقرار بأن وصولنا إلى هدفنا كان متوقعا منذ:كامب ديفيد–حرب إيران–إخفاق المؤتمرات الإفريقية والعربية...»[23] وتضيف إيفيت ترسيخًا للنّسق نفسه «قد حقّقنا مبتغانا وأدركنا مرامنا مثلما حاول أجدادنا الوصول إلى تشتيت كلمتهم منذ عهد نبيّهم محمّد...»[24].

بالنّظر إلى هذه الأنساق نلاحظ أنّها تمثّل تيمات تطابق الواقع وتتماشى مع أفق النّص، مما يسمح للمتلقي بتأملها وصياغة المعنى المتكوّن في الأفق، لأنّ النّص كخطاطة يشير مباشرة إلى ذخيرةٍ نصّية محمّلة بهذه الصّورة الخلفية، وفي الوقت نفسه محمّلة بأنساقٍ دلاليةٍ أخرى واقعية مقابلة للواجهة الخلفية في أفق النّص؛ إنها صورة تخاذل العرب وضعفهم كنتيجة واقعية «وكانت النتيجة أن هزمنا أنفسنا بأنفسنا... فأين نقود العرب؟ ... أين ثروة العرب؟ ... لمن الغلبة اليوم؟ ... القوة وحدها هي التي تستطيع أن تفرض إرادة العرب»[25]. انطلاقا من هذا التحليل يبدو أنّ تلقّي القصّة ومحاولة إنتاج المعنى محكومان بمرجعيات المتلقّي والآراء المسبقة المتكونة لديه، ولهذا فإنها تضع حدودًا ذاتية أثناء قراءة النّص، وهذا ما ينعكس على فهم النّص كونه فهمًا قائماً على توقّعات وإسقاطات الذّات التي تُتيحه له مؤهلاته.

2.3. الأنساق الدّلالية بين السّيادة والإقصاء:

إنّ التّفاعل بين النّص والمتلقي يدمج في سيّاق جديد، ويكتسب أنساقًا وأبعادًا دلاليةً جديدةً من خلال إثارة الذّخيرة النّصية، «وبما أنّه في كل فترة زمنية تسود أنساق معينة وتُقصى أخرى، فإنّ العمل الأدبي يتموقع نسبةً إلى تلك الأنساق بوصفها نماذج فكرية لفهم الواقع وتفسيره»[26]. ومن ثم فإنّ النّصوص الأدبية« تُغِير على أنساق الفكر، وتُغَيِّر بنياتها و وظيفتها... عن طريق إعادة تنظيم العلاقة بين المهيمن و المحايد و المنفي من المعايير»[27]. ومعنى هذا أنّ الأنساق تبقى واقعية ولكن بصيغة دلالية متغيرة، وهذا التّشويه هو ما يشكل فضاءً متنوعًا من الأنساق الدّلالية المستندة على أرضية واقعية، لكن بمفاهيم جديدة تجسّد معاني متحولة و رؤى مختلفة تكسّر توقّع القارئ وخرق المتوقَّع والمعتقَد لديه، مما يدفعه للبحث عن معاني جديدة، وذلك عن طريق الاستراتيجيات النّصية التي تضمن التّنسيق بين السّياق المرجعي والمتلقي محقّقةً بذلك نوعًا من الجمالية، حيث يرى إيزر أنّ النّص« ينظّم نوعًا من الاستراتيجية، فوظيفتها أنّها تصل فيما بين السّجل وتقيم العلائق بين السّياق المرجعي والمتلقي»[28].

إنّ هذا التّنسيق بين السّياق المرجعي للنّص والمتلقي لا تُراعَى فيه جوانب الإيجاب والسّلب، بل تُقدَّرُ فيها الجوانب الجمالية بحسب التّأثير الجمالي «بوصفه صدمة إدراك تحدث عند إدراكنا للتّقابل بين خصائص الموضوع الجمالي وتفاعلاتها مع الخبرة الذّاتية للفرد»[29]. ذلك أنّ الجمالية عندما نشير إليها ضمن جمالية التلقي« لا تشير إلى الجميل حسبُ، ولا إلى محض الدّراسة الفلسفية لما هو جميل (مهما كانت وجهة النّظر و مهما تكن النّتائج،) ولكن إلى مجموعة معينة من المعتقدات حول الفنّ و الجمال ومكانتها في الحياة»[30].

يمكن تحديد هذه المعاني المكونة للتّوجه النّقدي المتّجه نحو القارئ في هذه المجموعة القصصية، حيث نجد نصوصا تتميّز بذخيرة نصّية محمّلة بأنساق دلالية متصارعة يحاول كل نسق فرض السّيادة وإقصاء الآخر، ولعلّ هذه الحمولة ترتبط بالتّحول المتسارع على مستوى البُنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في المجتمع الجزائري، مما يستدعي القارئ للتواصل مع النّص وإدراك المختلف فيه حسب النّظرة التي يحملها هذا القارئ.

يتمظهر هذا النوع من الذّخيرة النّصّية في قصّة «سمام»؛ فقد قام الكاتب بكشف صراع الأنساق الثقافية والاجتماعية المجسّدة من خلال ذخيرة نصيّة تتمثّل في هجرة الشّباب الجزائري نحو الغرب طلبا للعلم، وللمتلقي فرصة التّشابك مع هذه الذّخيرة بافتراضه لتيمات مختلفة لتحديد معاني هذه الرّغبة التي ستتّصل حتما بجوّ طلب العلم أو تغيير نمط العيش نحو الأفضل، أو قياس درجة المحافظة على الدّين، وتَمَـثُّل صورة الخوف من التّأثّر بالآخر ونسيان الهويّة.

فكان التقاء (خالد)العائد من جامعة السوربون بصديقه (عمر) فرصة لأن يُطلِعه على مغرياتٍ تجعلة يُقبل على تحقيق طموحه لطلب العلم بفرنسا، غير أنّ هذا النّسق سرعان ما يدخل في صراع مع أنساق أخرى بدعوى السّيادة والإقصاء تتمحور حول الوضع في الجامعة «في المدرّج رأى العجب العجاب، ألف في بلده أنّه إذا حضر الأستاذ طفق الصّمت يعود إلى القاعة تدريجيا...لكن هنا نظر حواليه فإذا السّجائر يتصاعد دخانها، وإذا الأرجل ما تنفكّ موضوعة على الطّاولات...وما هو أفظع وأنكى تلك الوشوشات النّاجمة عما يخدش الحياء من الجنسين»[31].

هذا الصراع هو صراع بين أنساق اجتماعية، فالذّخيرة النّصية المنتخبة في النّص تحيل إلى أنساق أخرى تحاول إقصاء معيار مراعاة الأخلاق والسلوك القويم في المجتمع الذي ينتمي إليه (عمر)، و لعلّ النّسق الذي يحاول (عمر) إثباته يبدو أكثر وضوحًا عندما يرى صديقه (خالد) بصحبة فتاتين، فلم يزد عمر على «أن ناجى نفسه: يا له من ماكر!..هذا فِعلُه وأَبوَاه يؤملان منه أن يعود لهما طبيبًا بعد سنتين! مسكينان.. فلو علمَا أنّه مازال في السّنة الثّالثة لأقبلَا إليه وأعاداه جرًّا وسحبًا»[32].

وسَيسُود نسقٌ ويُقصى آخر ويُكسَرُ توقُّع القارئ عندما يتعرّف (عمر) على (باسكال) ثمّ يَقَعُ أسيرًا في حب (سيمون) «هذا زميلي عمر أغريته بالمجيئ إلينا، فهل تحبّذين له المقام، وتسوّلين له البقاء يا باسكال؟»[33] ف (عمر)الذي تمسّك بشخصيته ورَابط المقاومة أمام الإغراءات و رأى أن الخنوع لأنثى أجنبية هدٌّ لذلك الجدار الذي يَقِي به نفسَه سينتقل من المحافظة على التّقاليد إلى التّحضر كما يصوّره (خالد) «باح بهذا الوصف لخالد فاستشفّ منه أنّه قد تفتّح و أنّه قد تحضّر وأنّه على وشك الزّلل الذي يعدّه هو طبعا تقدّما»[34]. ويتعمّق الصراع بين النّسقين عندما يطلب (عمر) الزّواج بسيمون فتَقبل هذه الأخيرة بشرط أن يدين (عمر) بدينها ويتجنّس بجنسيتها.

إن مثل هذه الأعراف والمعايير الاجتماعية تتّسم بالخصوصية، وقد جعلها الكاتب ذخيرة للنّص أو إطارا مرجعيا للنّص انسلخت عن سياقها الأصلي، ففقدت جوانبها الخصوصية لتتّخذ شكلا جديدا حينما تندمج في أفق النّص بفعل الاستراتيجيات النّصية التي قرّبت المسافة ما بين ما يحمله النّص وما يفهمه القارئ.

وفي قصّة «غابة الضّباع» يوظف الكاتب الذّخيرة النّصية لبيان الصراع بين نسق التّمسّك بالدّين ونسق الانفتاح على المشاعر وانجرافها نحو الرذيلة، فالذّخيرة المنتقاة التي يدركها القارئ من النّسق الدّيني المعلن عنه في النّص تنمّ عن بيئةٍ محافظة حينما أشار إلى الأجواء الرمضانية، «شهر رمضان يودّع، جموعٌ من المؤمنين في المساجد تَتَهجّد وتَتَبَتَّل، جموعٌ أخرى تعَتكفُ،

النّساء والغيد شمّرن على معاصمهن البيض لصنع الحلويات ...»[35]، بينما تبدو (كريمة) في نسق مغاير، شخصية غارقة في أوحال الرّذيلة في الشّهر الفضيل «آبت مع الرّابعة صباحا ؛ثملةً تمامًا..كاسيةً عاريةً...»[36].

ثمّ في نسق مماثل ترى (كريمة) الزواج قيدًا؛ وهو ميثاق لا يقلّ قدسيةً عن شهر رمضان، جعلته فقط لإضفاء الشّرعية على أنوثتها «عجبا ..أَوَ تعُدّين شهرين من الزواج أسرًا و قيدًا؟...لأنّي تزوّجت سعيدا من أجل إضفاء الشّرعية على أنوثتي ...»[37]؛ إنّه نسقٌ مختل متناقض يؤدي بالقارئ إلى المشاركة في بناء المعنى، و وضع احتمالات لمسار شخصية (كريمة) تكون موافقة لمرجعيته وثقافته.

إنّ هذه الأنساق الاجتماعية المتناقضة هي أنساق واقعية وأنّ «خفض درجة الاحتمالات لا ينبغي أن تؤدي استبعاد الاحتمالات، بل تكتفي بتحييد بعضها بحيث يتمكّن النّسق من التّكيف مع عالم متغير»[38]، والعالم المتغير هو ما يفرض هذا الصّراع بين الأنساق بهدف السّيادة والإقصاء؛ وبذلك يبقى تلقي الذّخيرة النّصية المنتقاة والمشوّهة رهن كفاءة مرجعية المتلقّي، ومعرفته بهذه الأنساق داخل المجتمع قادرة على تشغيل القدرة التّفاعلية والإنتاجية لحظة القراءة.

ويطرح الكاتب بعدًا رُؤيَويًا آخر في قصّة «أغلى هديّة » محمَّلاً بذخيرة نصّية ذات واجهة خلفية تدلّ على نسق النّزوح الرّيفي ممثلا في رغبة (مريم)- التي سئمت حياة الرّيف- أن تنتقل إلى مدينة مغنية «لئن لم ترحل من غدك إلى مغنية لأطلبنّ الخلع منك»[39]، ونسق آخر مغاير تمامًا ممثلا في زوجها خالد بواجهة أمامية لذخيرة نصّية تنمُّ عن التّشبُّث بالأرض وخدمتها.

لقد قام الكاتب بتسليط الضوء على أنساق اجتماعية بوصفها نماذج فكرية تَتَشَكَّلُ بين وَتَرَيْ السّيادة والإقصاء، ف(مريم) تصرّ على الهجرة نحو المدينة بينما (خالد) يرغب في البقاء، ويبقى دور القارئ وفق هاتين الخلفيتين قائما على بناء احتمالات لتنظيم الذّخيرة عبر الاستراتيجيات النّصية، وبذلك يشكل القارئ وفق وجهة نظره لحظة الاندماج مع النّص محدّدا بذلك «التيمة»(The Theme) الأولى، والتي بدورها ستكون ضمن (تيمات) أخرى تشكّل أفق النّص مع سائر أجزاء الرؤى،كأن تكون تيمة انسياق (خالد) مع رغبة زوجه أو تيمة رضوخ (مريم) طائعة لزوجها، وبناءً على ذلك فإنّ تنظيم هذه الاستراتيجيات من شأنه أن يثّبِت أرضية مشتركة ممثلة في مجموعة من القواعد والعمليات المشتركة بين المتكلم والمستمع وهذا ما يفسح المجال لعملية التواصل والتفاعل، «فالأفق هو ما يشمل كل ما هو مرئي من نقطة واحدة»[40]. وذلك انطلاقا من كون العمل الأدبي حسب إيزر « ليس مجرد رؤية الأديب للعالم؛ بل إنه هو نفسه تجميع لرؤى متباينة»[41]. فأفق النّص وما يقدمه من شيء جمالي مرتبط بما يقدمه النّص من ذخيرة صريحة متعلّقة بالشّخصيات والرّؤية المتروكة للقارئ، ويبدو ذلك حينما قدّم الكاتب شخصية (مريم) على أنّها تنازلت عن فكرة الهجرة وألفت حياة الرّيف بمجرد ما أعطت الأرضُ غلّتها« تحولت الأرض إلى بساط أخضر؛ مزدان بأصناف الفواكه و الخضر ...»[42]، فلاقت الرّضى و الاحترام من زوجها وهو ما كانت ستفقده لو تركت قريتها و توجهت إلى المدينة.

4. خاتمة:

يجدر بنا في نهاية هذا البحث أن نجمل بعض النتائج إحاطةً بما توّصلنا إليه في ربط العلاقة بين نظرية التّلقي لدى إيزر وعالم القصّة القصيرة العربية الجزائرية المعاصرة، لا سيّما أنّ جُلّ الاهتمام كان منصبًا على الرّغبة في الوصول إلى ما يمكن استنتاجه، من خلال تتبع كيفية اشتغال الذّخبرة النّصية وأهم جوانبها المحفّزة في عمليات الفهم، ويمكن إجمال هذه النتائج فيما يلي:

- لقد جاءت أطروحة إيزر بضوابط تؤطّر العمليّة التّواصلية، يكفي القارئ الاستئناس بها لأدراك المتعة والجمال الموجود بالنّصوص القصصية.
- بالرغم من مرجعية الكاتب محمد مرتاض الواقعية، إلّا أن العلاقة بين الواقع والخيال ظلّت ملتبسة لأن الأشياء عندما تنتقل من الواقع وتتجسّد عبر الكتابة تفقد الكثير من ملامح الواقعية، والخيط الرابط بينهما يظل واهنا وقابلا للذّوبان في أي لحظة.
- يبدو أن الصّراع كان السّمة المميزة لأحداث القصص، إذ اندرج في شكل ثنائيات ضدّية، و هذا ما سمح للذّخيرة النّصية بالاشتغال على مستوى التّفاعل بين النّص والقارئ في المنطقة المألوفة وفق آلية الانتقاء وآلية التّشويه.
- غذت عملية التفاعل بين النّص والقارئ في إطار الذّخيرة النّصية مستمرة بين آليتي الانتقاء والتّشويه، ومشاركة المتلقي في بناء المعنى تَنْبَني على ما تُقدّمه هاتان الآليتان.
- علاقة النّص بالقارئ قائمة على مرجعيات يتسلّح بها القارئ للرّد على ما يقدّمه هذا النّص، لأن الخيبة التي تصيبه تُفعّل عملية القراءة وتدفعه لتغيير أفقه، وهذا ما وجدناه في بعض القصص المنتقاة، حيث تم تخييب القارئ ودفعه للمشاركة في بناء المعنى أحيانا واكتفائه بالتّأمل في أحايين أخرى.
- الذّخيرة النّصية الموظفة في النّصوص القصصية إن لم تكن واقعية فإنّها لا تفتقر إلى سمات الواقع، بل ستنبئنا بشيءٍ عن الواقع.
- تَحَقُّقُ الاستجابة الجمالية للنّص مرتبطة بتحقيق المعنى وفق مبدأ التّخييب على مستوى أفق الانتظار، وذلك بتناوب الذّخيرة النّصية بين الانتقاء والتشويه.

لقد قدّم إيزر نظريته من منطلق حديثه عن جنس الرّواية، ومن خلال هذا البحث يبدو أن أطروحات إيزر ومفاهيمه المتعلقة بإنتاج المعنى قابلة للتّطبيق على أجناس أدبية أخرى لتشمل القصّة القصيرة أيضا بل ومختلف الفنون الأخرى.

وكل ما نسعى إليه وما نتوخاه من خلال هذا البحث هو إضافة شيء ولو ضئيل إلى الدّراسات النّقدية في القصّة القصيرة العربية الجزائرية، وذلك من أجل مسايرة بنائها وأسلوبها وابتعادها عن النّمطية والثّبات وتكريس قدرتها على احتواء البُنى التّحفيزية وإثارة المتلقّين.

5. مراجع البحث:

أ /الكتب:

- **العربية**

1. بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول وتطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2001

2. عبد العزيز طليمات، فعل القراءة بناء المعنى و بناء الذات قراءة في بعض أطروحات فولفغانغ إيزر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات و مناظرات رقم 24، المغرب، 1993
3. عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007
4. محمد مرتاض، مجموعة قصصية العودة إلى الينابيع، دار هومة، الجزائر،2014
5. ناظم خضر عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997

- **المترجمة:**

6. ر.ب.جونسون، الجمالية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1983، المجلد1
7. روبرت هولب، نظرية التلقي، مقدمة نقدية ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000
8. شارلوت سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ترجمة مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2009
9. ڤولفجانج إيسّر ، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000
10. فولفغانغ إيزر، آفاق نقد استجابة القارئ، ضمن كتاب لأحمد بوحسن نظرية الأدب، القراءة-الفهم-التّأويل، نصوص مترجمة، دارا لأمان، الرباط، ط1، 2004
11. فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب تر: حميد الحميداني، والجيلالي الكدية، مكتبة المناهل، المغرب

- **الأجنبية:**

12. wolfgange Iser, l'acte de lecture theory de l'effet esthétique-traduit de l'allemand par evelyne sznycer, pierre mardaga ,1985

ب /الاطروحات:

13. أحلام العلمي، تجربة عمار لخوص الروائية من منظور جماليات «القراءة و التلقي» رسالة دكتوراه، كلية الآداب و اللغات، جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة، سنة 2016/2015

ج /المجلات و الجرائد:

14. السعيد بوطاجين، النزعة النسوية وصدام المرجعيات، مقال بجريدة الجمهورية، يوم 2019/01/07
15. وائل بركات، لطيفة برهم، نضال القصيري، نظرية التلقي وإشكاليّة المصطلح، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مجلد 33 عدد (1) 2011.

6.الهوامش:

6.قائمة الإحالات:

1- بشرى موسى صالح، نظرية التلقي أصول و تطبيقات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2001، ص48

*- مجموعة قصصية لمحمد مرتاض، من الأعمال الأدبية الهامة في ساحة الكتبة القصصية الجزائرية المعاصرة، بلغت ما يزيد عن العشرين قصّة، تناول فيها قضايا الثّورة بكل أبعادها الفكرية و الاجتماعية، وامتدادات حسّها، ولأنها تناولت فترة ما بعد الثورة حملت إلحاحا على المحافظة على مقومات الشخصية الوطنية، والتمسّك بالانتماء الحضاري، و رفض كل مؤثّر سلبي يسلب تلك الشخصية.

*- محمد مرتاض من مواليد مسيردة- الجزائر-حاصل على الدكتوراه في الأدب والنّقد من جامعة تلمسان الجزائر عام 1994، له مجموعة من البحوث والدراسات في النقد والقصة القصيرة والمسرحية، كما له مشاركات إبداعية في عدد من المجلات الأدبية، من مؤلفاته: (النقيض)مجموعة قصصية، (ثمن الحرية)رواية، (الانتهازية)مسرحية، وأعمال أخرى منها :من قضايا أدب الأطفال- شعر الفقهاء في المغرب العربي-النّقد الأدبي القديم في المغرب العربي- قراءة جديدة للنّثر العربي القديم-نظريّة القراءة- و غيرها. يعمل حاليا أستاذا لمقاييس أدب الأطفال والأدب المغربي القديم وتحليل الخطاب بجامعة تلمسان -كلية الآداب واللّغات الأجنبية.

2- روبرت هولب، نظرية التلقي، مقدمة نقدية ترجمة عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ط1، 2000، ص 208

3- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر: حميد الحميداني، والجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، المغرب، ص60

*- تعددت ترجمة المصطلح الأجنبي (le répertoire du texte) بين النقاد، من مصطلح الذّخيرة، إلى الرّصيد و السّجل النّصي.

4- «Le répertoire et la partie constitutive du texte qui précisément renvoie a ce qui lui extérieure» wolfgange Iser, l'acte de lecture theory de l'effet esthétique-traduit de l'allemand par evelyne sznycer, pierre mardaga ,1985,p128

5- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدّار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،ط1، 2007، ص194

6- ناظم عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، ص154

* ورد مصطلح الإواليات عند بعض النقاد من بينهم الناقدة نسرين عبد الله محمد فقة، في كتابها «القصة القصيرة القطرية في ضوء نظرية التلقي» و عند الباحث الأكاديمي نبيل محمد صغير في مقال بعنوان «أطروحة فعل القراءة عند فولفغانغ إيزر مقاربة في تاريخية المفاهيم» مجلة تاريخ العلوم عدد (6)، و تعني مجموع الآليات اتي تتحكم في فعل القراءة، كالذّخيرة النّصية والاستراتيجيات النّصية، و وجهة النّظر الجوالة ومواقع اللّاتحديد و عمليات الفهم المركبة.

7- ڤولفجانج إيزر، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، تر: عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، 2000، ص 26

8- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة ترجمة حميد الحميداني، ص19

9- ناظم خضر عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1997، ص153

10- عبد العزيز طليمات، فعل القراءة، بناء المعنى و بناء الذات –قراءة في اطروحات فولفغانغ إيزر، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 24، المغرب ، 1993، ص 155

11- محمد مرتاض، مجموعة قصصية «العودة إلى الينابيع»، دار هومة، الجزائر، 2014، ص135

12- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص136

13- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص 137

14- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص 139

15- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص 141

16- محمد مرتاض، المصدر السابق، ص197

17- السعيد بوطاجين، «النزعة النسوية وصدام المرجعيات»، مقال بجريدة الجمهورية، يوم 2019/01/07، ص 13/12

18- محمد مرتاض، «العودة إلى الينابيع»، ص201

19- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص 202

20- محمد مرتاض، الصدر نفسه، ص204

21- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص183

22- محمد مرتاض، المصدر نفسه ، ص183

23- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص 183

24- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص184

25- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص185

26- وائل بركات، لطيفة برهم، نضال القصيري، نظرية التلقي وإشكاليّة المصطلح، مجلة جامعة تشرين للبحوث و الدراسات العلمية، مجلد 33 عدد (1) 2011، ص141

27- فولفغانغ إيزر،آفاق نقد استجابة القارئ، ضمن كتاب لأحمد بوحسن نظرية الأدب، القراءة-الفهم-التّأويل، نصوص مترجمة، دارا لأمان، الرباط،ط1، 2004، ص80

28- ناظم خضر عودة، الأصول المعرفية لنظرية التلقي، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، ط1، 1997، ص154

29- شارلوت سيمور- سميث، موسوعة علم الإنسان المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية، تر مجموعة من أساتذة علم الاجتماع بإشراف محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة،القاهرة،2009 ، ص398

30- ر.ب.جونسون، الجمالية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، ط2،1983، المجلد1، ص274

31- محمد مرتاض، «العودة إلى الينابيع»، ص 18

32 - محمد مرتاض، المصدر نفسه ، الصفحة نفسها

33- محمد مرتاض، المصدر نفسه ، ص19

34- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص22

35- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص63

36- محمد مرتاض، المصدر نفسه، الصفحة نفسها

37- محمد مرتاض، المصدر نفسه، ص64

38- ڤولفغانغ إيسر، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، ترجمة عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، ص 77

39- محمد مرتاض، «العودة إلى الينابيع»، ص 164

40- ڤولفغانغ إيسر، فعل القراءة، تر: عبد الوهاب علوب، ص 105

41- ڤولفغانغ إيسر، فعل القراءة، تر: عبد الوهاب علوب، ص104

42- محمد مرتاض، «العودة إلى الينابيع»، ص 168